

الشك في الشعر الجاهلي

La soi-disant poésie anté-islamique.

شرارة نار انبثقت في بقعة جرداء ، تناولت كل ما جاورها ، فاصبحت
شعلة عظيمة . هكذا الاسلام ظهر في بقعة صغيرة من جزيرة العرب ، فانتشر
هذا الانتشار الهائل ، وما هي إلا سنوات قلائل ، بل ما هي إلا غمضة عين في
جفن التاريخ ، اذا هو انبث في سورية ، اقتتح مصر ، اخضع المغرب ، اذل
الاندلس ، دانت له اقاصي فارس ، اطراف الهند ، واستولى على اواسط آسية
ولاملم اواسط فرنسة ايضا ، وجميع البلدان التي امتد اليها لحيها - امر لم يرو
التاريخ مثيلا له ، واندفع العرب في الاثر ، فملكوا واعتزوا وصاروا الى شي .
لم يكن ليخطر لهم بالنام ، ولم يعلم به اجسادهم والاباء ، وانما تمكنوا من
الدخول الى هذه البلاد والسيطر عليها وكانت جميعها في اسوأ حالات الاضطرابات
الداخلية التي كانت ترهقها ارهاقا وتستنزف دمها وقتئذ . ففي سورية هرقل لاه
بالمجادلات الدينية والمباحثات الفلسفية وفي مصر الشقاق ضارب اطنابا بين القبط
والروم والمغرب سادتهم المذازع الدخيلة ، واسبانية ارهقتها التحزبات
والخصومات بين الملك والامراء وفارس هدت قوتها الحروب المتوالية ، وهكذا
اقول عن باقي الشعوب والدول ، التي استعمروها ، وانى لهذه البلدان وهذه
حالتها ، ان تقف في وجوه هؤلاء الغزاة ؟ وهذه العvisية الوثابة في الصدور
وتلك النار المتأججة في القلوب !!! فهجموا واستولوا عليها وكانت لهم لقمة
سائفة وما تربعوا في دست الحكم إلا اخذتهم عزة الملك وانفة السلطة وارتاحوا
من الحروب وهدأت اعمال الفتوحات وانقضى عهد الخلفاء الراشدين لانه في ايام
هؤلاء ما كان احد يقدر ان يقف في وجههم ولا يعاندهم معاندا . ومن تجاسر
واهان العرب ايامئذ أو غيرهم بماضيهم ، فما كان الجواب سوى ضربة من
هذا السيف ، فهو فصل الخطاب ، وفضلا عن ذلك كانت العرب تأخذهم عصية
الاسلام ، فما كانوا يلتفتون إلا الى اعلاء شأنهم ورفع منارهم وبسط ظلمهم



فلما انقضى هذا الزمن وظهرت دولة بني أمية ، تلك الدولة التي اعلت شأن العلم عند العرب ، افاق هؤلاء الغزاة من كيوتهم ، فاذا هم صفر الأيدي من الآداب ، وفي بلاد تفوقهم في الرقي والامان في المدن ، لانها كانت ماوست جميع العلوم ونبت في جميع فروعها وعقلت لها دايات لاولية في اكثريتها فتسبها وعلموا ان لا بد لهم ان يجاروهم في هذا المضمار وإلا فليس امامهم إلا ان يرجعوا من حيث قدموا ثم لا تقوم لهم قائمة بعدئذ ، فنظروا الى الخلف فاذا الاسلام امامهم وفنوحاته ، وما صنعوا في سبيله وما بذلوا لاجله وبه يمكنهم ان يتفخروا بما فعلوا ولكنهم لقرب العهد به لم يشاقوا ان يتخذوه كوسيلة للمفاخرة ، فنظروا الى ابد من ذلك الى قبله فاذا الماضي اغبر لا يبشر بشيء فما هم صانعون ؟ احوالهم ومحيطهم تدعوهم الى ان يثبتوا لمحكومهم انهم قوم كانوا ذوي مدينة ورقي ، وانما بشر بالاسلام بينهم قبيل ظهوره وغير ذلك ولكن ليس لديهم مستندات ولا كتب ! هنا وقفوا حيارى ! اي شيء ينيلهم مبتغاهم ؟ ليس لهم طريق آمن من الشعر ! فعمدوا الى الرواة والمختلقين وحثوهم ، فذكر الرواة ما يعلق بالفكر وتفنن المختلقون فاختلفوا اشعارا واحاديث كثيرة ، والشعر هو اقرب واسهل ما يتمكن به المرء لاختفاء معايبه وابداء محامده ، وهكذا عمدوا الى الشعر ، وطرقوا بابا ، فوجدوا مفتوحا ميسورا .

لا يحمل القارى كلامنا هذا على غير محله ولا يظن اننا تنفي وجود ما يدعى بالشعر الجاهلي ، كلا ! بل اننا بالعكس نؤكد وجوده وان يكن فيه بعض تعريف مهم وتلاعب . وقد قلنا ان العرب لم يعمدوا الى المختلقين فقط بل الى الرواة الصادقين ايضا ولا ينكر الشعر الجاهلي إلا من كان على عينيه غشاوة وفي اذنيه وقرو بقله تمصب ، كما اننا لا تنفي وجود كثير من الشعر المنتحل ، لان اولئك المنتحلون انتحلوا الشيء الكثير منه وعليه فقد وجب الشك فيه وصحما املفنا فقلنا ان الشك في ما رواه الرواة نتيجة لازمة لترقية البحث العلمي فان بين العلماء في اوربة الآن من يقول ان الاباذة والاوزمة ما كانت إلا جملة آيات اما الباقي فقد نسج خيوطه بعض القصاص بل ان منهم من يذهب الى ان

هوميرس نفسه لم يوجد إلا في غيلة أولئك الرواة وإن الكل انتحال . ولماذا هذا ؟ لأن شعر هوميرس هذا يشبه الشعر الجاهلي في أنه لم يكن مكتوباً بل قصه الرواة بعد زمن هوميرس . كل هذا مع ما بلغه الاغريق القدماء من المدنية وأنشئ في تاريخ آدابهم من الكتب الكثيرة الضخمة . فكيف اتقن بالشعر الجاهلي ؟ وليس بين أيدينا تاريخ متع كلل لآداب العربية ؟ فان ما يدعى عندنا بتاريخ الأدب العربي ، ما هو إلا طائفة من المعاني وبعض من اخبار وتاريخ الشعراء والأدباء جمعت « بعضها إلى بعض بشير فقها ولا احتياط ولا دقة ! » فالواجب يقضي علينا بالشك في أكثرية الشعر الجاهلي لما قدمنا من الأسباب ولأسباب أخرى دينية . ولما كان من التناقض بين الانصار والقرشيين وإن بعض الرواة كعماد وخلف الأحمر وغيرهما لم يكن لهم من هم سوى الكسب والفخر ... وسنأتي ببعض أمثلة من الشعر الجاهلي في معرض كلامنا . ومما يزيد فينا الشك هذه الكثرة المعروفة من الشعر الجاهلي وأما نعلم أن كثيراً منه مفقود كذا يخبرنا كتبة العرب أن جزءاً كبيراً منه فقد على أثر فتوحات الاسلام بموت كثير من الرواة ومنع تداول ذكر جزء آخر يخالف معتقدات الاسلام أو يمس النبي أو صحبه بشي . فلهذا لو بقيت ولم تصادفها تلك العثرات المزعومة لوجدنا بين أيدينا طائفة كثيرة منه ولاحتجنا إلى مجلدات ضخمة !!! نعم ! لا تكرر أنت مع تداول بعض شعر وقصائد ، لامية بن أبي الصلت والحطيئة وغيرهما . وهذا من الثابت لدينا فإن الأول عارض النبي الحنيف وناصبه العناء فوقت مشادات كثيرة بينهما والثاني ناجز خلفاء واصحاب النبي . أفليس هو صاحب :

أطعنا رسول الله إذ كن بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر !

أيورثنا بكراً إذا مات بعده ؟ وتلك لعمركم قاصمة الظهر !

فكان من دواعي ذلك أن امر بعدم ذكر قصيدة بها أي تعريض بالنبي أو صحبه وإنما ما بقي لنا من أمثال هذه القصائد تناقله بعض الخوارج فوصل إلينا ونحن نشك بقول هؤلاء الكتبة أنه وجد ذلك القدر الهائل الذي يلحقون إليه . وهذا بقطع النظر عما يلحقون اليمن أشعار أمية بن أبي الصلت وأمثلة

من الثائرين على الدين فجميع اشعارهم يحصر في كتاب . وكيف لا نشك في ذلك القدر الموهوم ؛ بينما نحن لانؤمن بكل ما لدينا لما نرى بين سطوره من رقة الشعور الفاتقة والاحساس الزائد عما يحتاج اليه اولئك الاعراب فلو اتاني امرؤ وسألني لمن هذان البيتان :

لو كان قلبي ممي ما اخترت غيركم ولا ارتضيت سواكم في الهوى بدلا
لحكمة قد لها في من يعذبها فليس يقبل لا لوما ولا عدلا
ما ترددت لحظة في نسبتها لعمر بن الفارض فانها تشابه شعرا كثيرا ولم يكن
ليخطر لي على بال انها لعنترة بن شداد (على حد قول الرواة) وهو اعرابي جلف
لم تصله المنية بل ان عشرة اشهر بعده عن بذاة الالفاظ وحوشي الكلام ؛
وامتاز دون اكثر شعراء الجاهلية برفقة ورشاقة تعابير ولكن مهما يكن لا
تبلغ به الرقة الى هذا الحد وبين هذه الكلمات ترى آثار الضمعة والتلاعب بالم
يلغ بالرواة ان نسبوا لامية بن ابي الصلت هذه الايات :

الحمد لله ممسانا ومصيحنا بالحير صبحنا ربي ومسانا
رب الخليفة لم تنقد خزائنها معلومة طبق الاتفاق سلطانا
ألا تبي لنا مننا فيخبرنا ما بعد بقايتنا من رأس بحيانا . الخ
فها نراا يتطلب نيا . مع أننا عرفنا انه من الذين حاربوا النبي وعادوه .
فالرواة اختلقوا هذه الايات والصقوها به كي يدعوا بحال الظن ان امية قد
تنبأ بظهور نبي حين ارتجالا ويمتقد به ؛ وانما معاداة النبي ما هي إلا لاسباب
شخصية يحته بينهما . فهذا الاختلاق هو من ضمن الاسباب الدينية التي قلنا انها
دعت الرواة الى الالتحال فهم ارادوا ان يظهروا للبلا انه تنبأ بالاسلام وبمعث
نبي عربي من مكة او من قريش قبيل ايلام باعوام وقرون ، فاختلقوا ماشاؤوا
من الاشعار ونسبوها لشعراء الجاهلية وعمدوا ايضا الى طرق اخرى وطرقوا
غير باب الشعر . فقد بلغ ببعض الرواة المختلفين في بلاد الفرنج ان القوا انجيلا
دعوه بانجيل برنابا ؛ وفيه تنبأوا عن بعثة الاسلام او ما يشبهه ، وذكر فيه
النبي المبعوث وذلك انهم علموا ان القديس برنابا الف انجيلا ولكنه ضاع ولم
يصل الينا ، فالفوا هذا ونسبوه اليه وقالوا انهم وجدوه مخطوطا قديما في تلك

الديار. وكل ذلك ليثبتوا أن كبار الأولياء كانوا ينتظرون بعثة نبي عربي وقدا بان
هذا الاتحال كثير من كبار علماء المسلمين فضلا عن المستشرقين .



ومن المضحكات المبكيات نسبة هذه الآيات لمنترية :

فدونكم يا آل عبس قصيدة يلوح لها ضوء من الصبح ابلج !
ألا أنها خير القصائد كلها يفضل منها ككل ثوب وينسج !
ومثلها :

صيلة هذا در نظم نظمته وانت له ملك وحسن ومنهج !
فما اسخف التعبير ! وما اظهر الصنعة ؟ ومتى كانت العرب في الجاهلية تفاخر
ببراعة نظمها ؟ هذه الآيات تشابه قول الزهاوي ، شاعر المراق من قصيدته
« ايها العلم ! » :

تتل امامك والجمهور مستمع قصيدة لفظها كالتر منسجم
لشاعر عربي غير ذي عوج على الفصاحة منه تشهد الكلم
هفوة سقط فيها غير الاستاذ الزهاوي من المعاصرين ، لو قرأ هذه الآيات
اجنبي لضحك على شديده ، واستخف بمقولنا ! تصفع اي ديوان فرنسي مثلا ،
وقل لي بريك هل تجد فيه هذا المديح وهذه المبالغات وهذا السخف ؟ لا اظنك
تجده . وان جل ما تجده من هذا النوع من المفاخرة والمديح ، بعض آيات عند
بوالو Boileau ، ذلك الشاعر الناقد المفلق وعند قليل من مثله ، ولكن شتان
ما بين هذا وتلك ! الفرق عظيم في رقعات المعايير ورشاقة النظم ، وتناسق التركيب
وغيره ! ونحن لاندرى كيف هفا الاستاذ الزهاوي هذه الهفوة ، بينما نعرفه من
المجذرين الناهضين وسقطت به امر ظهر به سوق الشعر ايام كساد !!

وينسب لمنترية ايضا هذه الآيات :

والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي والضرب والطنم والاقلام والكشب
فكأنه المتنبى حيث يقول :

الخيل والليل والبيداء تشهد لي والسيف والرمح والقرطاس والقلم
فمتى كانت العرب في جاهليتها وفي المجاز تتقن الكتابة او تعرفها ؟ نحن



نعلم ان عنتره كان اميا والعرب جلها لانفقوا القراءة ولا الكتابة بل كان همها
الاهم ان تبحث عن معاشها ، وضرورياتها والاخذ بالثار ، وشن الغزوات ولا
يشذ عن هذه القاعدة ، سوى من كان منهم متصلا بالروم او الفرس فقد كان
فيهم تراجمة وكتبة ، فاي طريقة بل اية اصوية حصلت فأنشأت من عنتره
كاتباً ؟... هنا نستدل على ان اولئك الرواة لم يكونوا ينتحلون الشعر وينسبونه
الى الشعراء الجاهلين ، بل انهم كانوا يخططون فيه بخط عشواء فينسبون هذا
البيت لهذا الشاعر وتلك القصيدة لذاك ، بدون فكر ولا روية فلو كانوا اتقنوا
الاتصال بقلوب شعراء الشاعر ونسبوا اليهم بلبقينا في هذه الاشعار بين الشك واليقين ،
ولكن لكونهم لم يفهموا ما هموا زائل اليك ، فارتسبوا ذلك البيت الى امية
ابن ابي الصلت او الى قس بن ساعدة لشككنا في الابيات ولم نقدر على تأكيد
الاتصال . ومما يماثل هذه الابيات من قصيدة نسبوها الى السمؤال صاحب
الاذنين ، شك فيها كثير من العلماء ، وفيها ما فيها من التكلف :

ألا ايها الضيف الذي عاب سادتي ألا اسمع جوابي لست عنك بغافل
ألا اسمع لغفر يترك القلب مولها وينشب ناراً في الضلوع النواخل
فاحصي مزايا مادة بشواهد قد اختارهم رحمانهم للدلائل
ومنها :

السنابني القدس الذي نصب لهم غمام يقبهم في جميع المراحل
من الشمس والامطار كانت صيانة تجير نواديم نزول الفوائل (١) . . .
فما استغفها ! وابن هذه القصيدة من قصيدته « اذا المرء لم يندس »
الحماسية ؟ فمن يعارض هذه بتلك « ياخذ العجب من الفرق الذي بينهما من
حيث طيبة الشعر وجودة التعبير ولعله صادق على قول مجلة المقتطف التي روت
بعض الابيات (سنة ١٨٠٦ ص ٤٠٤) فأردفها الكاتب بهذه الكلمات : « معما
يكن من امرها فهي خديثة كما قال الاستاذ مرغليوث نظمها احد الاسرائيليين ،
وتناقلها الحفاظ فزادوا فيها وحرفوها وناظم : « اذا المرء لم يندس من القوم
عرضه » بريء منها » (٢) .

(١) انظر القصيدة - ديوان السمؤال - طبعة شيخو ٣٧ (٢) ديوان السمؤال ٣٨

وفي هذه القصيدة تلاعب ايضا من الحفاظ فاذا صدق الاستاذ مرغليوث في ان احد الاسرائيليين نظمها فكيف نمل هذا ؟ فهو دون شك لم يختمها بهذا البيت :

وفي آخر الايام جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلام التكامل
هذا لم يرو في غير نسخة الموصل ، فأي يهودي يؤمن ان المسيح اتى ؟
اذن لا بد ان احد حفاظها او قل ناسخ هذه النسخة زارها من عندياتها وهذا
ينلنا ايضا على مبلغ التلاعب والتعريف في تلك الادوار التي مثلها اولئك الرواة
والحفاظ والناسخ ايضا في نقلهم البنا اشعار الاوائل على مسرح الادب .



ولا يفر المرء ان يجد بين الشعر الجاهلي لبنا وسهولة ، فالمرية لم تتغير
كثيرا قبل نصف قرن من الاسلام ، اما الذي تغير في البلاد العربية وعفا
انرا منها تلك الالهجات والتميمات التي كانت سائدة في اليمن وريضة وبعض
احياء العرب ولا يذهب حالا الى ان ذلك اللين فيها دليل على الانتحال بلا تدقيق
نظر واعمال روية فهذه ابيات من معلقة ابن كلثوم بها رقعة لفظ وسهولة :

قفي قبل التفرق يا طعينا	نخبرك البقين ونخبرينا
قفي نسألك هل احدثت صرما	لوشك العين ام خنت اليحينا
يوم حكرهت ضربا وطعنا	أقر به مواليك العيونا
وان غدا وان اليوم رهن	وبعد غد بما لا تعلمينا ... الخ .

فهل يا ترى هذه الرقعة في اللفظ هي التي تدعوننا الى وسعها انها منتحلة ؟
لنمسخ قصيدة برمتها دون ترو ولمجرد الشك في تلك الرقعة واللغة ! ومن ثم
ثبت لنا ان عمرا هذا لم يكن متأثرا بلغة القرآن قبل ظهور بلغة قريش ؟ واذا
لم هذا الشطط وهذا التسف ! يقول الدكتور طه حسين عن هذه المعلقة :
« ان في قصيدة ابن كلثوم هذين رقعة اللفظ وسهولة ما يجعل فهمها يسيرا على
اقل الناس حظا من العلم باللغة العربية في هذا العصر الذي نحن فيه . وما
هكذا كانت تتحدث العرب في منتصف القرن السادس للمسيح وقبل ظهور الاسلام
بما يقرب من نصف قرن . وما هكذا كانت تتحدث ربيعة خاصة في هذا العصر



الذي لم تسد فيه لغة مضر ولم تصب فيه لغة الشعر . « (١) . شيء لطيف !
من أنبا الدكتور هذا ؟ أهدمت يد اليه المصفورة ؟ أم شيطان الأدب ، أدب
اللاغريق ؟ أم جن الشعر ، شعر العرب ؟ على أي شيء يعتمد حضرة الدكتور في
قولها . ان لغة العرب لم تكن تتحدث هكذا قبيل الاسلام بصف قرن ؟ أطل
الآثار الباقية في جزيرة العرب ، وأين هي ؟؟؟ أم على مخطوطات تلك اللغة العربية
المتقدمة ، وأين فجدها ؟؟؟

كلنا يعلم ان اللغة باقية كما كانت منذ ظهر القرآن ولم يصبها تغير جوهري
ولم يستول عليها الفساد دعنا من هذا وأنتي بأي قطعة شئت من أي مقال
أردت . ولائي واحد من المعاصرين والمحدثين ، وتعال تابلها بأي قطعة أخرى
لأحد العرب الأقدمين ثم قل لي بربك هل هناك من فرق بين هذه اللغة الشائعة
في يومنا ، وتلك اللغة القديمة ؟ لا ، ولا اظنك حاصلًا على شيء ! ولكن
رويدك ، دعني اتداركني فأقول نعم هناك فرق ، وما هذا الفرق إلا نتيجة
لازمة لترقي اللغة كما هو دأب اللغات الخلية ، وهو ينحصر في استعمال بعض
الفاظ شعرية لغوية وحذف بعض كما جرى ذلك في نثر ونظم كل اللغات القديمة
وتجدد ايضا في اتخاذ بعض التعابير الجديدة دلالة على المعاني المستحدثة فان
التعابير الموجودة قديما لا تفي مطلوبنا بل لا تساعدنا على قضاء حاجاتنا في هذا
العصر ، عصر العلوم والكهرباء ، فاذا العربية كما كانت باستثناء هذه ، هناء ،
تلمة الحسن في شرح الشباب غضة الأهاب لم تعرف الطفولة بل قل لا تعلم
شيئا من هذه الطفولة كما انها لم تعرف غصون الشيوخوخة فكيف يريد منا اذن
حضرة الدكتور طه حسين ، ان نؤمن ونصدق ان ما يقرب من نصف قرن كان
كافيا ان يجعل هذا الفرق العظيم الذي يتوهم بين لغة عمرو بن كلثوم
والقرآن ؟! ستة عشر قرنا لم تقدر ان تغير في هذه اللغة ما يزهه تغير في نصف
قرن فقط ! فيا عجبا ! ان اللغة الانكليزية ولا نقول الالمانية هي اكثر اللغات
التي تتغير بسرعة وتتخذ كثيرا من الاصطلاحات الجديدة الغربية عنها وتندمج
فيها . قلقة يرون وتعابيرها ، ولغة كيلنج واصطلاحاته ، بينهما فرق يذكرك ،

ولكن هذا الفرق هو دون ما يرى بين لغة القرآن ولغة الشعراء الجاهليين على حسب قول طه حسين !!!

واننا نرى الدكتور يناقض نفسه بنفسه فيهم ما بناه . قال هنا ان ذلك العصر عصر ابن كلثوم : « لم تسد فيه لغة مضر ولم تصبح فيه لغة الشعر » وكان قد سبق فقال عند التكلم عن امرئ القيس « فنحن لا نعلم ولا نستطيع ان نعلم الان اكانت لغة قريش هي اللغة السائدة في البلاد العربية ايام امرئ القيس ؟ واكبر الظن انها لم تكن لغة العرب في ذلك الوقت وانما اخذت تسود في اواسط القرن السادس للمسيح وتمت لها السيادة بظهور الاسلام (١) » فهو لا يؤكد هنا اكانت لغة قريش قد سادت في البلاد العربية ايام امرئ القيس أم لا ، ويتنازع الشك فكيف يبيح لنفسه ان يؤكد ذلك حين تناول البحث عن ابن كلثوم ؟ نحن نعلم ان امرأ القيس وجد ونبح قبيل زمان عمرو بن كلثوم وان يكن نفق على ايامه فكيف نعلم كلام الدكتور ؟

وقد وقع طه حسين في الخطأ الذي يرتكبه انصار القديم بعينه وعليه لأمهم ، الم يسلم تسليمًا بقصة الفرزدق مع العذاري ، قال : « فالرواة يحدثونا ان الفرزدق خرج في يوم مطير الى ضاحية البصرة فاتبع آثارا حتى انتهى الى غدير واذا فيه نساء يستجمعن فقال : ما اشد هذا اليوم بدارة جليل وول منصرفا فصاح النساء به : يا صاحب البعثة ! فعاد اليهن ، فسألته وعزم عليه ليحدثن حديث دارة جليل فقص عليهن قصة امرئ القيس وانشدهن قوله :
ألا رب يوم لك منهن صالح ولاسيما يوم بدارة جليل (٢) »

فهنا هو الدكتور في ما عمل لاجل كتابه فهذه القصة المنسوبة الى الفرزدق ترى فيها الصنعة مجلوة ويحق لنا ان نصفها بالمنتحلة ونضرب بها عرض الحائط . وقصة زيارة امرئ القيس لخليلته « وتبشمت ما تبشمت للوصول اليها وتخوفت الفضيحة حين رأتها وخروجها معه وتعفيتا آثارهما بذيل مرطها وما كان بينهما من اللهو » اقرب الى العقل وادنى الى التصديق من تلك القصة ! ولما ذا

(١) الدكتور طه حسين - في الادب الجاهل - ٢١٧ .

(٢) الدكتور طه حسين - في الادب الجاهل - ٢٢٩ .

يريد الدكتور ان نصدق قول هذا الراوي ونكتب قول ذاك ؟ لو اراد ان نشك في ما يقدمه البنا الرواة وكتاب العرب على معرض الادب لوجب ان نشك في الكل فلا نتقي ما يوافق فكرنا ونصدقه ولا نضرب ما لا يوافقنا عرض الحائط ونكذب ما ين هذا من النقد الصحيح العلمي ؟ وهل هذه طريقة ديكرت ؟ لا ! نحن لا نقدر ان نعالى هذا التذبذب في كتاب « الادب الجاهلي » وانما نكتفي فنقول « ان مبدأ حسن يجعل بنا ان نتخذ قاعدة في درس الاداب فنشك عند اول فرصة للشك ونبحث في موضوعه دون ان تنفي بطريقة عامة وحكم بات كل الشعر الجاهلي » (١) كما انه يحسن بكل دارس للشعر الجاهلي ان يطلع عليه مع قليل من التعذر ففيه نظريات قيمة وملاحظات ثمينة .



ونظن اننا لا فاني شططا اذا ما نسبنا النصر لهذا الشاعر او ذاك . فمشرة والنابعة وامية بن ابي الصلت وقس بن ساعدة وعمر بن كلثوم والمهمل وغيرهم من فطاحل الشعر الجاهلي هم نصارى وان تكن قصائدهم لا تتضمن مقاطع تظهر بصراحة نصرانية اصحابها ... تحقق ان الشعراء وهم رافضوا لواء قومهم لم يكونوا يفترون عنهم في امر مهم كالديانة ، فضلا عن ذلك ان نحو أشعارهم من آثار الوثنية ومظاهر اعتقادهم بالتوحيد وبالحياة المستقبلية ، وتعودهم الكثير من الافكار والمؤسسات والاعباد المسيحية ، والتعبير اللطيف الذي يستعملونه لذكرها والذي يلزم كرههم في محيط نصراني او متصر « (٢) كل هذا يهين امامنا برهانا جديدا على صحة نظريتنا فضلا عن ان كثيرا من كتاب العرب ذكروا شيئا عن نصرانية تلك القبيلة ، او ذلك الشاعر .



نكتفي بما اوردنا عن الشعر الجاهلي وعن اسباب الشك فيه واننا نرى ان هذا الشعر هو خير ما جادت به الامة العربية وجادت به قرائح الشعراء . وقد اجمع الجهابذة العارفون بنقد الشعر وفنونه الضاربون في سهوله وخزونه ان

(١) فؤاد افرام البستاني - الروائع ج ٢ - الشعر الجاهلي - ص ١٦ .

(٢) الاب لامنس - الاب شيخو والتاريخ - المشرق ٣ - ١٩٢٨ - ٢١٠ .

شعراء الجاهلية أدركوا مقام التبريز بين شعراء العرب لما تميزوا به من مثانة
التركيب واستقامة الأساليب والاضطلاع من اخراج المعاني الكثيرة بالانفاظ
السيرة ألا وهم حاملو لوائه وموطدو بنائه. هذا مع بعدهم من سفن الكلام
وهجنة التكلف ولا غرو فالكلام رهن خواطرهم والفصاحة أمة مقاولهم « (١)
بركت (السودان) ميشيل سليم كعيد

الدوشنة

Les Daushanas.

الدوشنة جمع الدوشن. والدوشن يقابل (الكولي) عند العراقيين. والنوري عند
الساميين. والفجري عند المصريين المعاصرين. وبكلمة أخرى هو ما يسميه
الفرنسيون Bohémien. ومن غريب أمر الدوشنة في اليمن المناذقة بامر الأمام
وحث الناس على الجهاد وتولي الخطابة في خارج الجوامع. وهذه المهنة عند
اليمنيين من الشؤون الشائنة في نظرهم.

يلقب (الدوشن) إلى السوق حيث تجتمع الناس من قبائل مختلفة للبيع
والشراء. فيعني يفتنا أو موصفا مرتفعا وأو قليلا، فيخطب في الناس بذلاقة
لسان ومهولة تعبير ويرغبهم في ما يدعو اليه، كما يحذرهم ما لا يطيع لهم.
والأسواق في اليمن تقوم مرة واحدة في الأسبوع، وفي كل مرة يكون
المجتمع في غير المكان الذي كانت فيه السوق في اليوم السابق. فسوق الخميس
في غير موطن سوق الجمعة وسوق الجمعة في غير موطن سوق السبت إلى غيرها.
واللدوشن وفوق تام على انساب القبائل وأحوالها وتاريخها وشيوخها
وأشرافها وماداتها لكثرة تردده إلى رؤسائها. فمن هذا ترى ان هؤلاء القوم
شأننا يذكر في الحركة العمرانية أو الاجتماعية اليمنية.

وترى من هذا ان أسماء « بني سامان » وهم هؤلاء القوم عند الأتقيين من
السلف تختلف باختلاف الأزمان والأمكنة فيعرفون اليوم في العراق « بالكولية »
وفي سورية « بالنور » (وزان سيب) وعند المصريين « بالفجر » وعند الحليين
« بالقربانية » وعند الدمشقيين « بالزطه » إلى غيرها.

(١) الاب لويس شيخو - رياض الادب في مراتب شعراء العرب - ص ١.